

رحيله

نصه المكتب السياسي في الحزب الشيوعي في بيان أمس «القائد المناضل جورج سليم البطك الذي وافته المنية عن 87 عاماً». عدّد البيان المراحل التي طبعت التاريخ الحزبي للبطك، الذي وُلد في مشغرة من أسرة ميسورة. لکن ذلك لم يمنعه من إكتشاف الضر الرضي والتفاوت الاجتماعي باكراً. تأثر بالأفكار الشيوعية من خلال صلته بشيوعيي إيل السقي، وبينهم الكاتب سلام الراسي. ثم من خلال تزامله مع شيوعيي بلده، وبينهم حسن عواضة ونعمة الحاج ونقولا طرابلسي وخليل الدبس. راضق لفترات طويلة للشهيدین فرج الله الحلوجي وجورج حاوي، وكان واحداً من الذين كتبوا تاريخ الحزب بنضالهم. تجسدت بداية نشاطه الحزبي في مشاركته مع وفد الشباب الديمقراطي اللبناني في مهرجان بوخارست للشباب والطلاب عام 1953. وتحوّل من مناضل في صفوف الحزب إلى أحد رواده لدى اندلاع ثورة 1958. فخاض العمل السري ودخل السجون. وكان في 1966 أحد رجالات الجيل الثاني الذين صنعوا حركة التجديد في الفكر والسياسة داخل الحزب. وانجزوا مائة ثمرة الثاني عام 1968. حيث لعب دوراً أساسياً في صياغة الوثائق التاريخية لهذا المؤتمر. قضى القسم الأكبر من الستينات والسبعينات في براغ ممثلاً لحزبه في مجلة «قضايا السلم والاشتراكية». الناطقة باسم الأحزاب الشيوعية في العالم. وشارك في عشرات المؤتمرات والملتقيات التي عقدتها الحركة الشيوعية واليسارية العالمية. كما شارك في إنشاء الحرس الشعبي وتأسيس الحركة الوطنية وإطلاق جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية. وساهم في عقد وتمييز الصلات مع حركة المقاومة الفلسطينية الناشئة وفي التزام الاعتراف بها لدى بلدان الحركة الشيوعية. تميّز بفكره النّير وبالجرأة في التعبير عن أفكاره. واضطلع بدور مهم في صياغة الوثيقة التاريخية التي أقرت في المؤتمر السادس عام 1992. متضمنة قراءة نقدية جريئة للحزب الأهلية ودور الحزب فيها. وبغياها. يفضّل الحزب الشيوعي اللبناني والحركة الوطنية اللبنانية والحركة الشيوعية العربية والعالمية واحداً من أئمة الرموز.

يشيم الفريد في بلدته مشغرة الرابعة من بعد ظهر السبت المقبل.

البطك لا يموت

مرسك خليفة

كان جورج أقرب إلى الرقة، وحيرة مندهشة بالقلق يقف بين نارِي الشك واليقين. أول ما تعرفت عليه كان في أوائل أيلول بباريس عندما سافرت هرباً من وحشيّة صارخة حيث انتصرت الميليشيات والدولة المحلولة على طفولة زاهرة. اقتلعت من الخبز الساخن لأرُج في المجهول. جاء جورج من بيروت للمشاركة في احتفالات صحيفة الانسانية L'humanité، وكنت في صدد إصدار اسطوانتي الأولى حيث عالجت البكاء بالغناء وكانت الفتنة وجرح المنفى والحرب يتحققان وأقنع نفسي بجدوى هذا العبث الجميل.

باب الخريف في تلك السنة انفتح على «وعود من العاصفة» وهناك دائماً رائحة ضوء مجهولة مليئة بالعزاء في مكان بعيد. وكان جورج لا يزال يتأمل وكنت شاباً مراهقاً مرتجفاً في دوامة الحرب الضروس، أتمسك بالنور وكل شيء معتم واقوم الإعصار بوتر العود. مدّ يده لي من فوق حقيقة هذا العالم المجرمة وكان مؤمناً بالحب، مشمولاً بالحب ولو لم يكن مناضلاً لكان حبيساً في دير.

عاش وحيداً مع انه لم يكن يفتقر إلى المعجبات، والمغرّمات يحمن حوله. إلا أن أحداً لم يمنحه السند المريح واليد الرقيقة وخاصة بعدما ترك عائلته الميسورة وذهب إلى حلمه في تغيير العالم. كان جورج يتمييز بفكره الثاقب وذاكرته الغنيّة وبالجرأة في التعبير عن أفكاره وقناعاته.

ليتك بقيت يا جورج لتنقلنا كما كنت تفعل دائماً إلى كوكب آخر لا يزال فيه العشب أخضر والماء ماء والأحلام أحلاماً... ولو خابت. يا ليت هذه الدنيا تحرز يا جورج. لقد خنقتك التفاهة والوحشيّة والضرر وكذلك الضيق والضحّة. أمكنة بدقة قدرة ومهسترة لم يعد من الممكن العيش فيها مع الحياة. لا صيف ولا شتاء ولا ربيع ولا خريف يكفيننا لنحلم ونغني. تركت لنا الصدى الأبدى في حبر كلامك ورحلت. غياب راضق بين ظلال صورتك يشدني لأهمس لك: ما أجملك. غيمة الألوان سالت داخل الصورة بريشة حلمك وكلما كانت تضيق بنا الأرض كنت توسعها بجناحك.

سنمشي إلى ذلك الزمن كي نتنفس. هل تعود غداً؟ ما هذا الحنين الذي لا يفسّر؟ سأحذر هذا الحنين. لن أتركه يلتف عليّ.

ثمّة حب ينتظرك دوماً ولا شيء يثبت هذا الحب غير هذه الكلمات المبعثرة ورضوخي السريع لرغبة الصديق بيار ابي صعب: اكتب لنا من فضلك نصاً وداعياً يليق بالبطك.

أذكر يا جورج عندما سافرنا سوياً على متن طائرة تحلق على علو 33 ألف قدم إلى تشيكوسلوفاكيا في رحلة استثنائية ولم تهدأ طوال الرحلة تقوم من مقعدك لتمشي ثم تعود لتحكي عن الثورة التي ستنتج في المستقبل هي التي ستعيد إلى البشر الضحك على مدى صوته، هي التي ستعيد إلى المجتمع العيد والاحتفال وهي التي ستحمل - في ما ستحمل - الحب إلى العرش لأنه نور الخبز وخمره. نعم يا جورج بلا خمر لا يؤكل الخبز. الخبز ناشف بلا خمر. الخبز يابس بلا فرح الخمر وصوفيّة نشوته.

وكم شربنا في تلك الرحلة حتى انتشينا. كاسك يا رفيق! اتسع اليوم الشعور بالفراغ. الأمل نام قليلاً. هل نام استعداداً للنهوض من جديد.

الله واحد. الحزب واحد. الحاكم واحد. اللا شيء واحد. الصفرة واحد. وانث كالكثرة. سنحاول ان لا نكون «واحد» لنواجه الواقع وحتى لا تصرعنا الخيبة. لنا الحب يا جورج وليس لنا غيره. عد بإيمان الشباب الذين ينتظرونك من كل تلك الجراح لنمسك الأمل المطل كما يمسك الغريق خشبة الخلاص. أكثر يا صديقي ان نحلم بهذا القليل!

ترحل في اول أيلول ذلك الشهر الذي أخبرتني عنه ذات يوم وانت تعد أيامه ورقة ورقة. تلك الايام الميمونة حيث كان الانتظار الكبير ينتظر أيلول لتدخل إلى المدارس.

- متى كان ذلك؟

- من سنين!

- أين صار ذلك البلد الذي كنّا نقطع مسافة البرق إلى مشغرة؟

كان اسمه جورج بطك

كان اسمه لبنان

ابكي اليوم يا جورج ويا وطني وكيف سنخرج من قهرنا في زمن القسوة.

نبكي اعماراً لنا قتلوها، اسكنوا فيها الخوف القلق الحسرة التهديد الذل الخوف الظلم القهر الاغتراب.

كانت تحتلنا الجيوش وصارت تحتلنا الاشباح.

ابتعد يا جورج والتزم الصفاء واناجيك بروح نقيّة ولا اعذبها بظلام الآخرين.

لقد أفرغوا الكلام من معناه وشوهوا مضمونه.

صوتك يدخل عليّ عميقاً، يملأ حواسي.

هل ذهبت لتغسل القمر من مياه الينابيع السحيقة؟

هل هنا تنتهي رحلة الطيور؟

هل الحياة في مكان آخر على رأي كونديرا؟

كم تألقت يا جورج بكلماتك وكم باخ لون باقي الكلام.

عرس زهور وياسمين وزعر في ذكراك وقدّاس وجنّاز لراحة نفوس معظم الأحياء.

أشدّ على روحك بصمت عميق.

كم احبك يا رفيقي.



أمير الصراحة

كريم مرّوة

جورج بطل هو رفيق حياتي. تعود معرفتي به إلى عام 1951. ومن حينه، بدأت تتطور العلاقة، لتشمل الصداقة والسياسة والفكر والمشروع السياسي الاشتراكي لتغيير العالم، فجمعنا فكر كارل ماركس. كلانا كان له اتجاه مختلف لعائلته. أنا ابن رجل دين، افترقت عن والدي وأصبحت الاشتراكية مسار حياتي. أما جورج، ابن رجل الأعمال، فقد تخلّى عن المال والثروة، مقدماً حياته لأفكاره.

جورج صاحب الشخصية الجميلة والفذة، نموذج فريد. أمثاله قليلون، أعرف منهم على سبيل المثال لا الحصر، محمد سيد أحمد ابن الباشا الذي التحق بالشيوعية وعاش فيها مأساة لأنه كان مؤمناً بأفكاره. يتميز جورج بكونه صريحاً، يُعبر عن رأيه بالأشخاص والأشياء من دون أن يراعي أحداً. البطل هو القارئ النهم، الذي كانت له مسؤوليات حزبية مُتعددة. كان شريكنا، جورج حاوي وأنا، بقيادة الأمين العام للحزب الشيوعي في حينه نقولا شاولي، في تأسيس جبهة الأحزاب والقوى التقدمية والشخصيات الوطنية عام 1965 مع الراحل كمال جنبلاط. كان ذلك قبل أن يُرسل البطل في ذلك العام، بقرار من الحزب الشيوعي، للعمل في مجلة «قضايا السلم والاشتراكية» التي تصدر من براغ وتتلق باسم الأحزاب الشيوعية. طوال 15 عاماً أستمر جورج في عمله، كان خلالها كثير المجيء إلى لبنان والذهاب إلى بلدان عدة باسم المجلة والحزب وأفكاره للمشاركة في ندوات ومؤتمرات حزبية. كان متميزاً، نقدياً، لا يتلقّى الأفكار كما هي. جورج كان فعلاً إنساناً نير الفكر. من سماته أنه صاحب ذاكرة استثنائية ويحفظ التاريخ.

كنا، جورج وحاوي ومجموعة من الرفاق وأنا، نُشكل الجيل الثاني في قيادة الحزب الشيوعي. في عام 1966، قمنا بثورة أردناها لتجديد فكرنا وسياسات حزينا وتحديد طبيعة انتمائنا إلى الأممية بشكل مستقل. واجهنا معركة مع الحزب الشيوعي السوفياتي الذي اعترض على حركتنا، لكننا انتصرنا في ثورتنا التجديدية وعقدنا في عام 1968 المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الذي صدرت عنه مجموعة من الوثائق تُحدّد طبيعة الانتماء إلى الاشتراكية والحفاظ على أنفسنا كعرب. تولى جورج بطل صياغة هذه الوثائق. النتيجة كانت أن اضطر الحزب الشيوعي السوفياتي إلى التعامل معنا كما نحن قررنا.

عُدنا والتقينا، البطل وأنا، في عام 1991 بطلب من حاوي الذي كان أميناً عاماً للحزب الشيوعي وكلفنا صياغة الوثيقة التي ستعرض في المؤتمر السادس للحزب. كانت الحرب الأهلية قد انتهت بخسارتنا كحزب وكقوى وطنية، بعدما سادت الوصاية السورية. كما أن التجربة الاشتراكية انهارت مع انهيار الاتحاد السوفياتي. لذلك، كان على الوثيقة أن تأخذ في الحسبان هذين الحدثين. قدّمت الوثيقة للشيوعيين والعالم رؤية مختلفة فيها قراءة نقدية للحرب الأهلية ومشاركتنا فيها كحزب، وقراءة للتجربة الاشتراكية وتجاوزها. وضعنا أفكاراً حول ما كنا نعتبره ضرورة للحزب في هذا الظرف، حتى إننا دخلنا في أمور التنظيم. انتهى الأمر بأن أقر المؤتمر السادس هذه الوثيقة.

في عام 1999، المؤتمر الثامن تحديداً، قررنا أن لا نترشح إلى أي منصب. بقينا نعمل كل على طريقته، هو قليل الكتابة يقرأ كثيراً وأنا أؤلف الكتب. عُدنا في عام 2000، ووجهنا رسالة إلى الشيوعيين اللبنانيين نُشرت في جريدة «النهار». توجهنا إليهم، داعين إياهم إلى قراءة تاريخ حزبهم وإخراجه من الأزمة التي دخل فيها. في ما بعد، بقينا نحن الاثنين على علاقة مع الجميع في الحزب الشيوعي، من دون أن نتخذ موقفاً مع طرف ضد آخر.

بهذه الكلمات، أنهى الحديث عن صديق العمر وأمير الصراحة جورج بطل.